

الإمامة والخلافة

تأليف

حيدر علي قلمداران القمي

(١٢٩٢ - ١٣٦٨ هـ. ش. الموافق ١٣٣٢ - ١٤٠٩ هـ. ق.)

بإشراف

مجموعة الموحدين

تحقيق وتعليق

عبدالله سلمان

تم اعادة نشر الكتاب كملف PDF

برعاية الاستاذ شمس المحسن

صاحب موقع

<http://www.alhqiqqa.com>

فهرس المحتويات

١	مقدمة المشروع
٥	مقدمة الناشر
٨	مُقدِّمةُ المُحقِّق (الطبعة الثانية)
٩	مُقدِّمةُ المُحقِّق (الطبعة الأولى)
١١	ترجمة مختصرة للأستاذ حيدر علي قلمداران رحمه الله
١١	✽ المولد والمنشأ
١٢	✽ الدعوة والنشاط عند الأستاذ قلمداران
١٣	✽ علاقة الأستاذ قلمداران بالخميني
١٣	✽ الأستاذ قلمداران والشعر
١٣	✽ صلة «قلمداران» بالشخصيات المعاصرة
١٣	١ - العلامة الشيخ محمد الخالصي (رحمه الله)
١٥	٢ - المهندس مهدي «بازركان»
١٦	٣ - الدكتور علي شريعتي
١٦	٤ - الأستاذ الشيخ مرتضي «مطهري»
١٧	٥ - آيت الله العظمى حسين علي منتظري
١٨	✽ حادثة اغتيال الأستاذ «قلمداران» والحوادث المؤلمة الأخرى في حياته
٢٠	✽ الخلق الرفيع عند الأستاذ «قلمداران» وحرّيته

٢١ ❁ الآثار العلمية وتأليفات الأستاذ «قلمداران»

٢٤ ❁ وفاة الأستاذ

٢٥ الإمامة والخلافة

ترجمة مختصرة للأستاذ حيدر علي قلمداران رحمه الله

الحمد لله الذي يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، والصلاة والسلام على من أرسل لتبليغ الدين بدعوته، وعلى جميع الأطهار الأخيار من صحبه وعترته.
وبعد:

فالهداية نعمة إلهية ومنة ربانية، لا يملكها ولا يستطيع التصرف فيها حتى الملائكة والأنبياء عليهم السلام كما قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

عدة سنوات مرّت على وفاة المفكر الإسلامي والعالم الداعية الأستاذ حيدر علي قلمداران رحمه الله عليه، وقد كُتبت سيرة مختصرة عن حياته النضالية وآثاره العلمية وفاءً لبعض خدماته العالية النادرة الخالصة التي قدمها للإسلام والشيعة الإسلامية المقدسة في إيران.

المولد والنشأ

ولد حيدر علي بن إسماعيل قلمداران في عام ١٢٩٢ هـ. ش الموافق ١٣٣٢ هـ. ق في قرية «ديزيجان» على بعد ٥٥ كم من طريق قم - أراك من أعمال مدينة قم في أسرة فقيرة نسبياً، تشتغل بالزراعة. وأصله من مدينة «تفرش» لأن جده لأبيه المرحوم الحاج حيدر علي - وكان رجلاً سخيّاً جداً، يقضي حاجات الناس ويحل مشاكلهم - انتقل من تفرش إلى ديزيجان.

توفيت أمّه وهو ابن خمس سنوات، ولم يكن بإمكانه أن يسجل في الكتاب عند امرأة إمام الحي التي كانت تدرّس الأبناء وبنات الحي؛ لأنه لا يستطيع أن يدفع الأجرة الشهرية، وكان يقف خلف الباب ويستمع إلي دروس العجوزة، ومرةً حينما عجز الطلاب عن إجابة ما تسأله العجوزة وأجابه «قلمداران» الصغير من خلف الباب، سمحت له أن يحضر الدروس مجاناً. ولكنه بسبب عدم امتلاكه ثمن الدفاتر والأقلام، وشدة شغفه بالتعليم كان يستخدم الدخان الأسود لنار الحمام كحبر، وأعواد الثقاب كأقلام، والأوراق الزائدة التي يرميها أصحابها في

الشوارع، بدل الكراسيات، ليستمرّ في دراسته.

كان حيدر علي قلمداران الولد الوحيد المتبقي لأبيه من أصل ثلاثة عشر ولداً ذكوراً وإناثاً توفوا جميعاً في الصغر بسبب الأوبئة والأمراض الفتاكة، ثم فقد قلمداران والدّه وهو ابن خمسة عشر سنة. وكان والده رجلاً سريع الغضب ويعترض على حضور ابنه الحلقات التعليمية ويرغب بأن ينصرف ابنه إلى مساعدته في الأعمال الزراعية فحسب. فكان الشاب قلمداران يضطر إلى حرمان نفسه من تناول طعام الفطور كي يتمكن من الذهاب للمكتب للتعلم في الصباح الباكر كي لا يأخذه والده معه للزراعة في أول النهار.

❁ الدعوة والنشاط عند الأستاذ قلمداران

تزوَّج «قلمداران» بعد مضي سبعة وعشرين ربيعاً من عمره، ورزقه الله ثمانية أولاد (خمسة ذكور وثلاث إناث). وفي سن الثلاثين من عمره استُخدم في مديرية التربية في مدينة «قم»، فعُيِّن في بداية أمره كاتباً لحسن خطه، ثم أصبح معلماً في المدارس الثانوية التابعة لمديرية التربية.

ولما نضج علمه وانبرى في ميادين الثقافة بدأ يكتب مقالات في بعض الجرائد مثل: جريدة «استوار» وجريدة «سرچشمه» في مدينة قم، وصحيفة «وظيفة» في مدينة طهران.

وكانت مجلة «يغما» أيضاً تطبع الأشعار الرائعة والمقالات القيمة للأستاذ «قلمداران»، وكانت مجلة «الحكمة» تنشر المقالات الفقهية التي يكتبها الأستاذ، وكان آية الله «طالقاني» والمهندس «مهدي بازركان» -رحمهما الله- يكتبان في هذه المجلة.

كان كثير الشغف بالقراءة والبحث ومطالعة الكتب الإسلامية منذ صغره، وما لبث -وهو في ريعان الشباب- أن قرض الشعر وأصبح كاتباً في عدد من المجلات التي كانت تصدر في عصره في قم وطهران، وعمل في سلك التدريس في مدارس مدينة قم، وكان يسخر قلمه لكتابة المقالات الإسلامية التي يدافع فيها عن تعاليم الدين الحنيف، ويردّ على مخالفين الإسلام، ويدعو لإصلاح الأوضاع وإيقاظ همم المسلمين.

فمرةً نشرت مديرية الثقافة في مدينة قم مقالاً ينال من الحجاب الإسلامي، فكتب الأستاذ ردّاً قاطعاً على ذلك المقال ونشرت مجلة «استوار» ردّه هذا. فغضب رئيس إدارة الثقافة في قم

على الأستاذ وهدده بالطرد من الإدارة أمام الجميع.

يقول الأستاذ: فاستأذنت ووقفت أمام المنصة الخطابية ورددت على كلامه السخيف وتهديداته الواهية، وانتهت الجلسة بعد كلامي، ولم يستطع أن يفعل شيئاً؛ بل بحمد الله نُقل إلى مدينة أخرى.

❁ علاقة الأستاذ قلمداران بالخميني

قال الأستاذ قلمداران: يحتمل أن السيد روح الله الخميني كان وراء نقل رئيس مديرية الثقافة في قم، إذ كان السيد الخميني في ذلك الوقت يعطي دروساً في الأخلاق في قم، وكنتُ أحضرُ دروسه أحياناً. وعندما سمع بقضية مديرية الثقافة، أرسل إليَّ شخصاً يقول إن السيد الخميني يريد أن يلقاتك ويكلّمك، فلما ذهبتُ إليه استفسر مني عن الموضوع (أعني موضوع المقالة ضد الحجاب وردّي عليها)، فلما بيّنتُ له القصة قال لي: لا تخف أبداً فإنهم لن يستطيعوا فعل شيء ضدك، ولن أسمح ببقاء هذا الرُّجُل (تصغير رجل، ويقصد به رئيس مديرية الثقافة في قم) في قم، فإن قال شيئاً حول هذا الموضوع مرّةً أخرى فردّ عليه ولا تخشى شيئاً. (وبالمناسبة أشار الأستاذ قلمداران مرّةً إلى أن السيد الخميني قال مرّةً في أحد دروس الأخلاق تلك، في معرض حديثٍ له عن الولاية ومقام الولي: "إذا نفخ الوليُّ بغمه انطفأ مصباح الخليفة!" قال الأستاذ: فلما رأيت هذا النمط من التفكير لديه، لم أعد أحضر دروسه).

❁ الأستاذ قلمداران والشعر

رغم أن الأستاذ قلمداران لم يكن شاعراً بالمعنى الأخص للكلمة، إلى أنه كان يمتلك قريحة شعرية حسنة، فكان يَنْظُم أحياناً بعض الأبيات الشعرية، وكما ذُكر سابقاً كانت مجلة «يغما» تنشر بعض أشعاره.

❁ صلة «قلمداران» بالشخصيات المعاصرة

تعرّف الأستاذ قلمداران رحمه الله بعدد من الشخصيات المعروفة في عصره منهم:

١ - العلامة الشيخ محمد الخالصي (رحمه الله)

آية الله العظمى محمد بن محمد بن مهدي الخالصي المولود عام ١٨٨٨ م في مدينة الكاظمية بالعراق درس على كبار علماء عصره وحاز على درجة الاجتهاد في سنٍّ مبكرة جداً، له آراء

إصلاحية كثيرة، توفي في بغداد عام ١٩٦٣ م^(١).

العلامة الشيخ محمد «الخالصي» من العلماء المجاهدين في العراق. بدأت معرفة الأستاذ بالعلامة الخالصي بسبب ترجمة كتابه «المعارف المحمدية»، واستمرت بعد ترجمة كتاب «الإسلام سبيل السعادة والسلام» وكتاب إحياء الشريعة في ثلاث مجلدات والآثار الأخرى للعلامة الخالصي. وأعقت هذه الأعمال الثقافية إرسال الرسائل واللقاء بين الأستاذ والعلامة؛ حتى أن السيد الخالصي تأثر بأفكار الأستاذ المنورة الإصلاحية، ونستطيع أن نشاهد علائم هذا التغيير في الآثار التي نشرها الخالصي فيما بعد، وكذا نرى هذا التأثير المشهود من المقدمة التي كتبها العلامة الخالصي على كتاب «أرمغان آسمان = تحفة الساء» للأستاذ «قلمداران»، وهو يكتب:

"شابٌ مثل الأستاذ حيدر علي «قلمداران» في عصر الغفلة وتجاهل المسلمين، وفي عصر نسيان المسلمين للتعاليم الإسلامية؛ بل في عصر الجاهلية، يوضح الحقائق الإسلامية وينشرها بالشجاعة التامة وبدون أي خوف من المعاندين الجهال، فكيف نستطيع أن نشكر هذه النعمة العظيمة؟!"

تأثر المؤلف كثيراً بالمرجع الشيعي المصلح آية الله الشيخ محمد مهدي الخالصي (رحمه الله) وقام بترجمة أغلب كتبه إلى الفارسية، لكنه تجاوز شيخه الخالصي بخطوات أكثر انفتاحاً وخرج عن إجماع الإمامية في بعض المسائل كنفية وجوب أداء خمس المكاسب والأرباح، وقوله بأن الأئمة الاثني عشر ليس منصوصاً عليهم من قبل الله تعالى ورسوله ﷺ، بل هم علماء ربانيون وفقهاء مجتهدون فحسب، وأفضل أهل عصرهم وأولاهم بالاتباع، وألف في هذا الموضوع كتابه الشهير «طريق الاتحاد» وقد تعرض بعد نشره إلى محاولة اغتيال فاشلة من بعض المتعصبين الغلاة.

كما قال قلمداران بأنه لا ثبوت لإمامٍ غائبٍ مستترٍ إلى الآن ولا رجعة ولا عصمة مطلقة لأحد إلا عصمة رسول الله ﷺ في تبليغ رسالات ربه، ورأى كذلك من خلال دراسته لتاريخ زيارة القبور في الإسلام، عدم صحة نصب القباب وإقامة الأضرحة على قبور الصالحين سواء من أئمة آل البيت أو أولادهم وجعلها مزارات يحج لها الناس ويطوفون بها داعين مستغيثين ورأى ذلك من مظاهر الشرك في العبادة، وألف في ذلك كتابه «بحث حول زيارة المزارات».

(١) انظر ترجمته وآراءه ودعواته الإصلاحية في كتاب أعلام التصحيح والاعتدال للبيدي ص ٢٧٨-٣٣٧.

التقى الأستاذ «قلمداران» في أسفاره إلى بعض المدن العراقية وخاصة مدينة كربلاء بكاشف الغطاء وهبة الدين الشهرستاني مؤلف كتاب «الهيئة والإسلام» وهما من العلماء الأكابر عند الشيعة الإثني عشرية وتعرّف بهما من قريب، وكان يرأس العلامة الخالصي وأحياناً الشهرستاني ويناقشه في بعض المسائل الكلامية.

٢- المهندس مهدي «بازركان»

المهندس مهدي بازركان المولود عام ١٩٠٥م في طهران والحاصل على الدكتوراه في الهندسة من فرنسا.

الأستاذ بنفسه ينقل لنا كيف تعرّف على المهندس بازركان، ويقول: بينما كنت واقفاً على الشارع بين القرية ومدينة قم وأنتظر وصول الحافلة وكنت أقرأ كتاباً كي أستفيد ولا أضيع وقتي بالانتظار، مرّت سيارة أمامي فيها بضعة أشخاص، ثم وقفت السيارة ورجعت إلى الخلف ووقفت أمامي، وطلب ركاها مني أن أركب معهم.

وأثناء الطريق انتبهتُ إلى أن أحد الركاب هو المهندس بازركان (أول رئيس وزراء في إيران بعد انتصار الثورة، عام ١٩٧٩م)، و كان رئيس «صناعة البترول» آنذاك (سنة ١٣٧٠ أو ١٣٧١هـ) وكان عائداً من مدينة عبادان أثناء مهمة رسمية للأمر المتعلقة بالنفط. وقال السيد بازركان لي: تعجبتُ جداً، لما رأيت شخصاً قروياً يغرق في المطالعة وهو ينتظر الحافلة. وكان هذا الحدث سبباً في عقد الألفة والمحبة بيننا حتى أن السيد بازركان استفاد كثيراً من كتاب «الحكومة في الإسلام» في تأليف كتابه «البعثة الإيديولوجية». وكان السيد بازركان معجباً بكتاب «ارمغان آسمان = بشرى السماء» تأليف الأستاذ «قلمداران» وعرف الدكتور علي شريعتي على هذا الكتاب و وصفه له.

ومن الجدير بالذكر أنه بعد إطلاق سراح المهندس مهدي بازركان من السجن جاء على الأقل مرتين إلى قم لزيارة الأستاذ قلمداران.

٣- الدكتور علي شريعتي

الدكتور علي شريعتي المولود عام ١٩٣٣م في خراسان، والذي يعتبر ملهم الثورة الإيرانية التي قامت عام ١٩٧٩م رغم أنه توفي قبلها بستين تقريباً، عام ١٩٧٧م في لندن. عدّه هاشمي رفسنجاني معلّماً أساسياً في إرساء النهضة الإيرانية، له أفكار إصلاحية كثيرة نشرها في عدة كتب من أهمها كتاب التشيع العلوي والتشيع الصفوي.

رأى الدكتور علي شريعتي كتاب «ارمغان الهي» تأليف الأستاذ «قلمداران»، وبعدما سمع عن كتاب «ارمغان آسمان» من الباحثين والمفكرين وأساتذة الجامعات، وخاصة من المهندس بازركان، تأثر أكثر فأكثر بالأفكار المنوّرة الإصلاحية التي يحملها الأستاذ «قلمداران»، وهذا الأمر بالذات حمل الدكتور شريعتي على كتابة رسالة إلى قلمداران من باريس يطلب فيها منه إرسال الكتاب المذكور إليه. (أدرج نص هذه الرسالة في كتاب «ذكريات مانا» - كُتِبَ نشر في ذكرى شريعتي -).

ولما رجع الدكتور شريعتي إلى إيران قال لأحد أصدقائه وهو الدكتور «أخروي» الذي كان يعرف «قلمداران» من قريب، إن لقلمداران دور كبير في اتجاهاتي الفكرية وأشتاق لرؤيته، فهلا يسرتم لي اللقاء به، لكن هذا اللقاء لم يتحقق مع الأسف، ولبي الدكتور شريعتي نداء ربه، رحمه الله.

٤- الأستاذ الشيخ مرتضى مطهري

الأستاذ مرتضى مطهري المولود عام ١٣٣٨هـ في خراسان، تتلمذ على كبار علماء الشيعة كصدر الدين الصدر والخميني، وكان من الأعضاء البارزين في إدارة الحكم بعد قيام الثورة وقد تم اغتياله في طهران عام ١٣٩٩هـ، وله مؤلفات كثيرة^(١).

كان الأستاذ الشيخ مطهري أيضاً من المعجبين بقلمداران، ولكنه لم يكن يظهر حبه للأستاذ قلمداران خوفاً من لوم زملائه من علماء الدين. وكما قال السيد «قلمداران» إن مطهري قال له مرةً حينما التقيا في أحد الشوارع بعد الخروج من إحدى المحاضرات: "بخ بخ! أحسنت يا سيد قلمداران، لقد قرأتُ كتابك «ارمغان آسمان» فاستمتعت به جداً ووجدته كتاباً ممتازاً".

(١) انظر ترجمته في كتاب تراجم الرجال لأحمد الحسيني ٨١٧/٢.

٥- آيت الله العظمى حسين علي منتظري

كان بين هذا الفقيه القدير رفيع الشأن والرحوم قلمداران صداقة ومودة متميزة منذ سنوات قبل الثورة، وكان منتظري يحب كتابات قلمداران ونظرته الدينية، دون أن يفصح عن ذلك للآخرين. والشواهد الدالة على هذا المدعى هي التالية:

ألف) عندما سمع الشيخ منتظري بقضية طباعة ونشر كتاب «الخُمس» للأستاذ قلمداران في أصفهان، أرسل عن طريق المرحوم السيد هاشمي مبلغ ١٠٠٠ ريال وقال: هذا أيضاً مشاركة من قبلي في تكاليف طباعة كتاب الخُمس!

وأذكر أن المرحوم قلمداران كان يقول: لما أُطلق سراح الشيخ منتظري من السجن قُبيل انتصار الثورة جاء إلى منزله في قم الكائن في حي «عشعلي». فلما ذهبْتُ إلى لقائه في منزله رحب بي أشدَّ الترحاب وأبدى سروره البالغ بهذا اللقاء ثم قال لمن حوله - وأكثرهم من طلاب العلوم الدينية - مبتسماً مازحاً بلهجته الحلوة: هذا هو الأستاذ قلمداران الذي أخذ منا الخُمس وحرمننا منه!

فهذا يدل على أن هذا الفقيه الكبير كان واقفاً تماماً على الرأي الاستثنائي الذي لا سابقة له للأستاذ قلمداران حول انحصار الخمس في غنائم الحرب.

ب) طبقاً لقول المرحوم قلمداران، كان الشيخ منتظري منذ سنوات قبل انتصار الثورة يدرّس طلابه في مدينة «نجف آباد» كتاب «الحكومة الإسلامية» المثير والفريد الذي ألفه قلمداران.

ج) من الجدير بالذكر أنه بين السنوات ١٣٦٣ حتى ١٣٦٧ هـ.ش. (الموافق لما بين عامي ١٩٨٤ إلى ١٩٨٨ م) وبعد أن تعرض المرحوم قلمداران ٣ مرات للجلطة الدماغية، وأصبح طريح الفراش في المستشفى، قام الفقيه الشيخ منتظري بلطفه وكرمه بإرسال مبلغ كبير من المال لأسرته، مرتين متواليتين - عبر أحد علماء الدين -، خشية أن يكون بحاجة إلى المال لأجل الدواء والعلاج. وقد شكرت أسرة المرحوم قلمداران في كلتا المرتين لطف الشيخ المنتظري وثمنت موقفه، واعتذرت عن قبول المال لعدم حاجتها

إليه. هذا أيضاً علامة أخرى من علامات المحبة بين الأستاذين المرحومين. رحمهما الله!

❁ حادثة اغتيال الأستاذ «قلمداران» والحوادث المؤلمة الأخرى في حياته

١ - عندما نشر الأستاذ «قلمداران» كتابه «طريق الاتحاد - دراسة نصوص الإمامة» - قُبِل انتصار الثورة - أرسل الشيخ مرتضي حائري نجل آية الله الشيخ عبدالكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم رجلاً إلى الأستاذ وطلب منه أن يأتيه إلى بيته، ولما ذهب الأستاذ إلى بيت الحائري، قال له الحائري: أنت ألفت كتاب «نصوص الإمامة»؟ فأجاب الأستاذ: أنا لا أقول أنا لم أكتبه! ولكن لا يرى اسمي على الكتاب! قال له الحائري: يمكن أن تُقتل بسبب تأليف هذا الكتاب! قال الأستاذ: ما أسعدني! لو أُقتل من أجل عقيدتي، ثم قال له الحائري: لو بإمكانك أن تجمع الكتاب من السوق فافعل، ثم ادفنه أو أحرقه! فأجاب الأستاذ: ليس هذا بإمكانني، طبعه رجلٌ آخر ونشره، وأنت لو بإمكانك اشتر جميع النسخ واحرقها، ومن جانب آخر يطبع آلاف الكتب للدعاية للشيوعية وتبليغ البهائية، فلماذا لا تقفون أمام هذه الكتب ومؤلفيها؟!

وبعد مُضيِّ بضعة أشهر على انتصار الثورة، وفي ليلة العشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٨ هجرية شمسية (١٩٧٩ م) عندما كان الأستاذ على عادته يأتي في هذا الشهر إلى مسقط رأسه قرية ديزيجان وقيم فيها، دخل رجلٌ مأجور - أرسله المتعصبون عُمي البصيرة وأفتوه بجواز قتل المرحوم قلمداران - بيتَ الأستاذ في منتصف الليل وأطلق عليه رصاصةً وهو نائم، ثم فرّ، ولكن رغم قرب المسافة من الهدف، جَرَحَت الرصاصة بشرة ربة قلمداران فقط واستقرَّت في أرض الغرفة!.

ونُقل عن الأستاذ أنه قبل يوم من حادثة الاغتيال جاءه رجلٌ من مدينة قم وسأله عن آرائه وعقائده، وكذا سأله عن الكتاب أيضاً!

مما لاشك فيه أن تأليف كتاب الخمس وطريق الاتحاد كانا من الأسباب الرئيسية لمحاولة اغتياله تلك.

على كل حال، لم يشأ الله أن يُقتل الأستاذ، وبعد هذا الحادث كان يأتي القرية ويداوم على أنشطته كما في السابق مؤمناً بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ

مَوْلَانَا... ﴿التوبة: ٥١﴾.

طبقاً لرواية شهود العيان من أهل القرية الذين كانوا في تلك الليلة مشغولين بسقاية بساتينهم، يمكن شرح حادثة الاغتيال تلك بالصورة الآتية:

دخل ثلاثة أو أربعة أشخاص راكبين سيارةً إلى القرية في ليلة العشرين من شهر رمضان، وأوقفوا السيارة على جسر القرية جاهزةً ومستعدةً للفرار السريع. ودخل اثنان منهم منتصف الليل بيت الأستاذ وكمناً في حديقة البيت بين الأشجار، وكان أبناء الأستاذ يقفلون الباب مرات عديدة من الداخل، ولكنهم كانوا يرون متعجبين أن الباب مفتوح، لكنهم لم ينتبهوا أصلاً إلى الكارثة التي تنتظرهم. وفي منتصف الليل بعدما رأى المهاجمون أن الكل قد ناموا، دخل الضارب معه المصباح الكاشف و مسدّسه، غرفة النوم الخاصة بالأستاذ. وكانت زوجة الأستاذ قلقة كثيراً تلك الليلة لا تستطيع النوم، وحينما رأت الوارد ظنت أنه ابنه علي فنادت: علي!

وخاف القاتل وأطلق النار بسرعة على الأستاذ وفرّ من البيت، وكانت زوجة الأستاذ تصرخ ولا تستطيع أن تتكلم من شدة الفزع. وكذا الأولاد بعدما سمعوا صوت الطلقة النارية كانوا يصرخون ويقولون: قتلوا الحاج السيد، واجتمع أهالي القرية ونقلوا الأستاذ من القرية إلى مدينة قم وأدخلوه في مستشفى «كامكار». وبعد أيام جاء شاب ومن ظاهره أنه كان من طلبة العلم وسأل عن الأستاذ، وتابعه ابن الأستاذ «قلمداران» فرأى أنه دخل إحدى الحوزات العلمية في محلة «يخجال قاضي» في مدينة قم.

٢- والحادثة المؤلمة الأخرى التي أثرت على حياة الأستاذ هي وفاة أحد أبنائه في سنة ١٣٦٠ ش/ ١٣٩٩ هـ، وتألم الأستاذ كثيراً بسبب هذا الحادثة المؤسفة، حتى أدى ذلك إلى إصابته بجلطة دماغية، ولم يستطع أن يستمر في التأليف ولكنه لم يترك القراءة إلى حد الإمكان.

٣- الحادثة المؤسفة الأخرى في حياة السيد «قلمداران» هي سجنه في سجن «ساحل» قم. ذكر الأستاذ هذه الواقعة وقال: كنت في أحد الأيام مستلقياً على سرير المستشفى إثر السكتتين اللتين أصبت بهما، فجاء رجلان من قبل محكمة الثورة واعتقلاني بتهمة معارضة الثورة، وظفرا ببعض كتبي ونقلاني إلى السجن، وحتى أنها لم يسمح لي بأخذ

الأدوية التي كنت أحتاج إليها، وكنت في ذلك الوقت مصاباً بأمراض خطيرة وحتى أنني لم أستطع أن أسيطر على بولي، وكنت أحمل الجهاز الخاص للمواقع الضرورية. وفي السجن لم يكن معي إلا بطانية صغيرة، وكان زجاج الغرفة مكسوراً، وعانيت حتى الفجر من البرد القارس. ولم أستطع أن أتناول طعام العشاء؛ لأن بقية المسجونين نهبوا الطعام. ناولني فقط أحد المسجونين بقية طعامه. ولما رأيت الوضع في السجن نويت الصيام من فجر اليوم التالي.

وذهب أولادي إلى بيت آية الله المنتظري وكان آنذاك نائباً عن الخميني (وجديرٌ بالذكر أنه كان بين آية الله المنتظري وبين الأستاذ «قلمداران» معرفة قديمة وكان الأستاذ يقول: أن آية الله المنتظري كان يدرّس كتابي «الحكومة في الإسلام» في نجف آباد إصهبان)، وفي الصباح رأيت أن بعض حرس الثورة دخلوا السجن مضطربين وقدموا الاعتذار وأخرجوني من السجن واتصلوا بأبنائي كي يحضروا لي بعض الألبسة، ثم رهنوا وثيقة استملاك البيت وأطلقوني.

الآن تصوروا لولا فضل الله، ولو لم تكن هناك علاقات ودية بين الأستاذ وبين آية الله المنتظري كيف كانت الثورة وحرسها سيتعاملون معه؟!

وجديرٌ بالذكر أن إدارة الثقافة في قم أقامت معرضاً باسم «مجاهدتهاي خاموش = المجاهدات الصامته» في هذه المدينة ووضعوا بعض كتب الأستاذ على مرأى الناس كأن هذه الكتب تحمل الأفكار والعقائد الانحرافية، كما أنهم وضعوا بعض الوثائق والمستندات ضد آية الله المنتظري في هذا المعرض أيضاً.

❁ الخلق الرفيع عند الأستاذ «قلمداران» وحرّيته

كان رحمه الله طوال حياته رجلاً صادقاً، عفيفاً، صادق الوعد، عابداً، زاهداً، شجاعاً، سخياً وصریحاً. وجميع من كان لهم صلة بالأستاذ كانوا يجلسونه ويعرفون عنه أنه رجل عظيم، بسيط العيش، بعيد عن الرياء والتكلفات الاجتماعية وغير معتنٍ بالطعام واللباس؛ كأنه اقتدى بالأخلاق الحسنة بأكابر الدين الحنيف، وكانت حياته تشبه حياة السلف وقائدي الأمة الإسلامية. ومع أنه كان رجلاً قد طبّقت شهرته الآفاق وكان باستطاعته أن يقفز إلى المداخل الحكومية

الرفيعة ويوفر لنفسه ولأسرته حياةً مرفهةً، إلى أن زهده في الدنيا منعه من أن يضحى بالعلم والتقوى في سبيل التقية والخرافات والأباطيل المروّجة في البيئة الإيرانية؛ بل وقف مع الحق صامداً ورفض المتع المادية الحقيرة. فما أسعده!

❁ الآثار العلمية وتأليفات الأستاذ «قلمداران»

إضافة إلى المقالات والبحوث التي كان الأستاذ يكتبها في الجرائد والمجلات المختلفة، ترك لنا أيضاً ثروة ثمينية من الكتب؛ ألف بعضها وترجم البعض الآخر من العربية إلى الفارسية، وكلها كتب نفيسة، منها:

١- ترجمة كتاب «المعارف المحمدية» وهذا الكتاب من آثار العلامة الخالصي، وقد ترجم وطبع قبل سنة ١٣٣٥ هـ. ش. حسب التقويم الإيراني (يطابق سنة ١٩٥٦ م).

٢- ترجمة كتاب «إحياء الشريعة» تأليف العلامة الخالصي، وكان كرسالة يوضح فيها العلامة الخالصي بعض المسائل الفقهية، وترجمه الأستاذ بعنوان: «آئين جاويدان» وطبعه.

٣- «آيين دين يا أحكام اسلام» ترجمة كتاب «الإسلام سبيل السعادة والسلام» وهذا الكتاب أيضاً من مؤلفات العلامة الخالصي، وترجمه الأستاذ «قلمداران» وطبعه في سنة ١٣٧٦ هـ.

٤- تأليف كتاب «أرمغان آسمان = بشرى السماء» المشهور في سنة ١٩٦١ م. وهذا الكتاب قد نشره من قبل ضمن سلسلة مقالات في جريدة «الوظيفة».

٥- «ارمغان إلهي» في إثبات وجوب صلاة الجمعة، وهذا الكتاب ترجمة لكتاب «الجمعة» تأليف العلامة الخالصي.

٦- رسالة في الحج أو المؤتمر الإسلامي العظيم في سنة ١٣٦٢ هـ.

٧- رسالة «الاستملاك في إيران من وجهة النظر الإسلامي»، وهذا الكتاب مخطوط بخطه ولم يطبع إلى الآن.

٨- قيام الإمام الحسين عليه السلام.

٩- تأليف المجلد الأول من كتاب نفيس باسم «حكومت در اسلام = الحكومة في الإسلام» ودرس أهمية الحكومة وكيفية تأسيسها في ضمن ٦٨ مبحثاً، ولم يكتب مثله من قبل في

إيران، بل وإلى الآن ليس لهذا الكتاب نظير في المحافل العلمية في إيران.
وسُمع من الأستاذ أنه قال: كان آية الله المنتظري يدرس هذا الكتاب في نجف آباد
إصبهان قبل ثورة الخميني.

وبين الأستاذ السبب الدافع لتأليف هذا الكتاب وقال: رأيت في المنام ليلة الإثنين
السابع والعشرين من شهر محرم سنة ١٣٨٤ من الهجرة أنني مع بعض الإخوة في
كربلاء، وكأنه توفي الحسين وأنا لابد أن أغسل جثمانه وسائر الإخوة يساعدونني في
هذا المهام، فتهيأت نفسي وقصدت الوضوء قبل كل شيء. فاستيقظت من النوم.
وعبرتُ نومي بأني سأغسل وجه الإسلام من الخرافات والأوهام بتأليف هذا الكتاب
والكتب الأخرى وأظهر للناس الوجه الحقيقي الساطع للإسلام. فشكرا لهذه النعمة
بدأت بصلاة قيام الليل، والحمد لله.

ثم من الغد بدأت بتأليف هذا الكتاب وكنت في قرية «ديزيجان» في العطلة الصيفية.

١٠ - رسالة «هل هؤلاء مسلمون؟»، هذا الكتيب الصغير ترجمة لوصية العلامة الخالصي في
المستشفى سنة ١٣٧٧هـ وقد أملاه سكرتيره، ثم طبع بعنوان: «هل هم مسلمون؟» وفي
ضمنه رسالة قصيرة باسم: «إيران در آتش ناداني = إيران في نار الجهل» وهي ترجمة
بعض المواضيع من كتاب «شر وفتنة الجهل في إيران» من مؤلفات العلامة الخالصي.

١١ - مجموعة «راه نجات از شر غلات = طريق النجاة من شر الغلاة» في خمس مجلدات
يشتمل على المباحث التالية: ١- علم الغيب، ٢- الإمامة، ٣- بحث في الولاية
وحقيقتها (لم يطبع بعد)، ٤- بحث في الشفاعة، ٥- بحث في الغلو والغلاة وطبع
ضمن بحث الشفاعة، ٦- بحث في حقيقة الزيارة وعمارة المقابر وطبع باسم «زيارت
وزيارتنامه». (طبع بالآلة الكاتبة القديمة وصورت منه ٥٠ نسخة تقريبا و نشر بين
محبى قلمداران فقط).

١٢ - كتاب «الزكاة» وطبع بمساعدة المهندس بازركان في شركة الأسهم، ومنعت السلطة
الدينية نشر هذا الكتاب إلى حين.

١٣ - كتاب «الخمسة» ألفه الأستاذ بعد كتاب الزكاة، ولم يطبع هذا الكتاب لأن الحوزات

وعلماء الشيعة لهم حساسية خاصة حول هذا الموضوع، ونسخه بعض زملاء الأستاذ بالآلة الكاتبة في إصفهان ونشروه، وكتب آية الله «ناصر مكارم شيرازي» و «رضا استادي» وغيرهما ردوداً على هذا الكتاب القيم، وأجاب الأستاذ «قلمداران» عن جميع هذا الردود وضمها إلى كتابه «الخُمس».

١٤- كتاب «شاهراه اتحاد = طريق الاتحاد»، ومن المعلوم أن الشيعة تشتعل بسرعة عند سماع مسألة الإمامة. وهذا الكتاب اشتمل على مباحث الإمامة والوقائع بعد رحلة الرسول ﷺ، واجتماع الصحابة في سقيفة بني ساعدة، وموضوع الخلافة والإمامة. وهذا الكتاب نُشر من قِبَل بعض زملاء الأستاذ بأعداد قليلة.

١٥- قبل الثورة بعدة أعوام كتب «ذبيح الله محلاتي»، -من الرجال المذهبيين الشيعة- رسالة باسم «ضرب شمشير بر منكر غدير = ضربة السيف على منكر الغدير» وأدرج في رسالته مباحث زائفة تخالف الحق والعقل. فأجابه الأستاذ «قلمداران» برسالة عنوانها: «پاسخ يك دهاتي به آية الله محلاتي = ردُّ من رجل قروي على آية الله محلاتي».

١٦- المجلد الثاني من كتاب «الحكومة في الإسلام» ودرس فيه مهام الحكومة الإسلامية والحاكم المسلم.

١٧- رسالة «سنة الرسول من عترة الرسول ﷺ».

كان هذا نموذجاً مختصراً عن مؤلفات الأستاذ قلمداران^(١).

ومن الجدير بالذكر أنه بالإضافة إلى المؤلفات والمصنفات وترجمة الكتب ونشر المقالات والبحوث الدينية والذب عن حوزة الدين، كان الأستاذ يلقي الخطب والدروس الدينية والثقافية العديدة في طهران (مسجد كذر وزير دفتر أيام آية الله البرقي) وفي تبريز وأصفهان، وكذا ألقى خطبة مهمة في صحن قبر الحسين في كربلاء حينما زارها، وطبعت هذه الخطبة مع كتاب «زيارت و زيارتنامه».

(١) بعض كتب الأستاذ طبعت ضمن هذه المجموعة، ومنشور في موقع مجموعة موحدين على شبكة الإنترنت:

توفي هذا العالم النحرير في يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٤٠٩ هـ (١٥ اردیبهشت ١٣٦٨ هـ ش) وقد مضى من عمره ٧٦ سنة بعدما تحمل المشاق والمتاعب في سبيل نشر الحقائق الإسلامية والوقوف أمام البدع والخرافات الموجودة في المجتمع، وكان عمره ستّ وسبعون سنة، ودفن عصر ذلك اليوم في مقبرة قم في آخر شارع (جهارمردان)، بعدما حضر بعض أصدقائه وتلاميذه جنازته.

وكان حفلاً بسيطاً خالياً عن جميع مظاهر البدعة المروّجة في المجتمع الإيراني، وقد صلى عليه العلامة الموحد مصطفى حسيني طباطبائي.

فرضي الله عنه وعن سائر الدعاة المصلحين.

الدكتور حنيف

١٤٣١/٤/٢٠ هـ ق. المطابق لـ ٢٠١٠/٤/٥ م، و

١٣٨٩/١/١٦ هـ ش.

توفي هذا العالم النحرير في يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٤٠٩ هـ (١٥ اردیبهشت ١٣٦٨ هـ ش) وقد مضى من عمره ٧٦ سنة بعدما تحمل المشاق والمتاعب في سبيل نشر الحقائق الإسلامية والوقوف أمام البدع والخرافات الموجودة في المجتمع، وكان عمره ستّ وسبعون سنة، ودفن عصر ذلك اليوم في مقبرة قم في آخر شارع (جهارمردان)، بعدما حضر بعض أصدقائه وتلاميذه جنازته.

وكان حفلاً بسيطاً خالياً عن جميع مظاهر البدعة المروّجة في المجتمع الإيراني، وقد صلى عليه العلامة الموحد مصطفى حسيني طباطبائي.

فرضي الله عنه وعن سائر الدعاة المصلحين.

الدكتور حنيف

١٤٣١/٤/٢٠ هـ ق. المطابق لـ ٢٠١٠/٤/٥ م، و

١٣٨٩/١/١٦ هـ ش.

الإمامة والخلافة

تم إعادة نشر الكتاب كملف PDF

برعاية الاستاذ شمس المحسن

صاحب موقع

<http://www.alhqiqqa.com>

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العزيز:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

طلبت مني أن أكتب حول مذهب الإمامية وفقهه إجمالاً فاستجبت لطلبك^(١) وأسأل الله تعالى أن يصونني بفضله العظيم من أيّ تعصب جاهليّ ويُلهمني البصيرة والإنصاف وسأسعى أن يكون كلامي موجزاً والله المستعان وعليه التكلان.

بُنيَ أساس مذهب الإمامية في مقابل المذاهب الأخرى الإسلامية على أن الله اختار عليّاً عليه السلام وأحد عشر من أبنائه خلفاء لرسوله الأكرم عليه السلام، وأنّ الشورى للمهاجرين والأنصار لاختيار خليفة النبي عليه السلام كان باطلاً وغير مشروع، ولكن هذا الادعاء مخالف للرسالة الصريحة التي نقلها الإمامية عن عليّ عليه السلام كما جاء في "نهج البلاغة": «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضا فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين...»^(٢).

وهذه الرسالة جاءت أيضاً في كتاب وقعة صفين من تأليف نصر بن مزاحم المنقري المتوفى سنة ٢١٢ هـ وهو من الكتب المعتبرة والقديمة عند الشيعة، والذي أعيد طبعه في إيران أخيراً.^(٣)

مفاد هذه الرسالة يتوافق مع القرآن الكريم حيث يقول الله في سورة التوبة: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ

(١) هذا أسلوب درج عليه بعض المؤلفين لشدّ القارئ وكأن الرسالة كتبت لأجله شخصياً.

(٢) نهج البلاغة، ص: ٢٦٦. قال الشيخ الهادي كاشف الغطاء في كتابه مستدرك نهج البلاغة ص ١٩١: (إن

اعتقادنا في كتاب نهج البلاغة أن جميع ما فيه من الخطب والكتب والوصايا والحكم والآداب حاله كحال ما

يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته في جوامع الأخبار الصحيحة والكتب المعتبرة).

(٣) وقعة صفين لابن مزاحم المنقري، ص: ٢٩.

لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٨﴾ [التوبة: ١٠٠].

كما يلاحظ أن المهاجرين والأنصاري وُعدوا بالجنة في هذه الآية الكريمة صراحة، وكذلك يقول الله فيهم: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

وإذا اجتمعت جماعة من أهل الجنة وتشاوروا بينهم واختاروا شخصاً إماماً للمسلمين، فهل هذا العمل مخالفٌ لرضى الله تعالى؟ أم هو كما يقول علي عليه السلام: «كان ذلك لله رضى»؟! عجباً أن فرقة الإمامية لا تعني بما تروي عن علي عليه السلام بنفسها ولا بالآيات القرآنية الصريحة!!

قال علي عليه السلام في "نهج البلاغة": «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتوني إليها وحملتوني عليها»^(١).

إن كان الله قد اختارَ علياً عليه السلام للخلافة وولاية المسلمين، فلماذا لم يكن راغباً فيها، وكان معرضاً عنها؟

وهل رسول الله ﷺ كان معرضاً وراغباً عن نبوته ورسالته أيضاً؟! إن كان الله قد اختار علياً عليه السلام للخلافة فلماذا بايع أبا بكر وعمر؟ كما صرحت بها كتب الشيعة "كالغارات" للثقفى، ومستدرك نهج البلاغة، وكتب أخرى لفرقة الإمامية.

نقرأ مثلاً في كتاب "الغارات" لأبي إسحاق الثقفى المتوفى سنة ٢٨٣ هـ أن علياً عليه السلام لما قُتل محمد بن أبي بكر كتب رسالةً إلى أصحابه في مصر متذكراً أبا بكر يقول فيها: «فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته»^(٢).

ويقول في عمر رضي الله عنه: «تولى عمرُ الأمورَ وكان مرضي السيرة، ميمون النقية»^(٣).

قال الجوهري في "الصحيح": «فلانٌ ميمونٌ النقية إذا كان مبارك النفس»^(٤).

(١) نهج البلاغة، ص: ٣٢١.

(٢) الغارات ١/ ٣٠٤، مستدرك نهج البلاغة للميرجهاني ٤/ ١٧٤، بحار الأنوار للمجلسي ٣٣/ ٥٦٨.

(٣) الغارات ١/ ٣٠٧، مستدرك نهج البلاغة للميرجهاني ١/ ٢٧٥، بحار الأنوار للمجلسي ٣٣/ ٥٦٩.

(٤) الصحيح للجوهري ١/ ٢٢٧.

هذه مفاد رسائل عليّ عليه السلام نقلها الشيعة بأنفسهم غير أهل السنة، وصرح بها أسلاف الإمامية فهل يبايع عليّ الغاصب؟!

وهل البيعة من شخص اختاره الله تعالى خليفة لرسوله ﷺ صحيحة؟!
وهل يثني ويمجد عليّ عليه السلام غاصباً أو ظالماً ويعدّه مرضي السيرة ميمون النقية؟ فلماذا لا ينصفون ولا يتّقون الله؟

جاء في كتاب "وقعة صفين" أن عليّاً عليه السلام قال في أبي بكر وعمر: «أحسننا السيرة وعدلا في الأمة»^(١).

أما الشيعة الإمامية فتقول إنهما كانا ظالمين غاصبين، إننا إذا عرضنا ادعاء الإمامية على القرآن وجدنا أن الله يقول في المهاجرين: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

أما الشيعة فتقول: لما أعطاهم الله القدرة غصبوا خلافة عليّ عليه السلام وظلموا وأذوا فاطمة الزهراء بكسر ضلعها^(٢).

يقول الله تعالى في سورة الحج: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوْمِعُ وَيَعَّ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ

(١) وقعة صفين لابن مزاحم المنقري، ص: ٢٠١.

(٢) يقول آية الله العظمى محمد حسين فضل الله منتقداً قصة كسر ضلع فاطمة: (.. أنت إذا كان واحد جاء وهجم على زوجتك ويريد أن يضرها، هل تقعد في بيتك وبالغرفة وتقول: لا حول ولا قوة إلا بالله؟! أو تهجم على الذي جاء يضرب زوجتك؟! علي بن أبي طالب سلام الله عليه، هذا الرجل الذي دوخ الأبطال يترك الجماعة يهجمون على الزهراء بهذا الشكل وهو قاعد في البيت ..) ثم يقول: (لماذا الزهراء تفتح الباب؟ .. أنت إذا كنت موجود في البيت وزوجتك موجودة ودق الباب أحد، خصوصاً إذا جاء رجال أمن ليعتقلوك، هل تقول لامرأتك: أنت اخرجي؟ ... يعني الإمام علي جبان، ما عنده غيرة؟! يقولون: النبي ﷺ أوصاه، أوصاه بأن لا يفتح المعركة في الخلافة وليس أن لا يدافع عن زوجته) انظر الحوزة العلمية تدين الانحراف ص ٢٧-٢٨.

فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

أحق لنا أن نعرض عن الآيات القرآنية ورسائل علي عليه السلام الموثقة، ونؤمن بادعاءات هذا وذاك، وبالتالي نضع الفرقة بين الأمة الإسلامية؟

لم يقل الله سبحانه: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]؟

لم يقل علي عليه السلام في نهج البلاغة: «والزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع الجماعة وإياكم والتفرقة»؟^(١)

عجباً ذلك اليوم الذي ازدحم المسلمون فيه على باب علي عليه السلام وأرادوا منه أن يبايعوه وهو يقول: «دَعُونِي وَاتِمِسُوا غَيْرِي»^(٢).

وعاقبة الأمر أن رضي بها بعد أن كان مُصراً على نبذها.

إن كَانَ قد اختاره الله لخلافة النبي ﷺ فلماذا هذا الاستنكاف؟ ولماذا لم يقبل مهمته التي أعطاه الله إياها إلا بعد الإصرار الكثير؟

ولماذا كان يقتدي بالخلفاء في الصلوات؟ كما صرح به صاحب وسائل الشيعة: «قد أنكح رسول الله ﷺ وصلي علي عليه السلام وراءهم»^(٣).

لماذا كان علي عليه السلام - بناءً على قول الإمامية - يؤيد الظالمين والغاصبين والمبتدعين؟ هل هذا كله كَانَ لتقوية الإسلام؟^(٤)

لماذا لا يوجد في القرآني اسمٌ ووصفٌ للأئمة الاثني عشر، ولكن جاء الكلام بالتفصيل

(١) نهج البلاغة، ص: ١٨٤.

(٢) نهج البلاغة، ص: ١٣٦.

(٣) وسائل الشيعة ٨/ ٣٠١.

(٤) من تناقض الشيعة في هذه المسألة أنهم يدعون أن الباعث لسكوت الإمام علي عليه السلام هو الحفاظ على بيضة الإسلام! ثم يزعمون أن أصل هذا الدين (الإمامة) اغتصب وضاع! كيف لدين أن يكون محفوظاً وقد ضاع أصله؟!

حول أصحاب الكهف وذوي القرنين ولقمان وهارون وغيرهم؟

هل يمكن أن يسكت كتاب الهداية عما يسبب الاختلاف والفرقة بين الأمة في قرون متعاقبة، ويبحث بالتفصيل في الأسلاف والقدماء؟ أين ذهب إنصافكم؟^(١)

نجد علماء الإمامية -هداهم الله إلى طريق الحق والصواب- يستشهدون بحديث الغدير مراراً وتكراراً، وأن رسول الله ﷺ اختار علياً عليه السلام للخلافة والنبي ﷺ حين كان في الطريق بين مكة والمدينة تحدّث بمناسبة خلاف كان قد حدث بين بعض الصحابة وعلي عليه السلام، عن ولاية علي عليه السلام، أي محبته، لا عن خلافته، لأنه قال ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ» ثم أتى بالقرينة وقال: «اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»^(٢) إذاً ما العلاقة بين المحبة والعون، وبين الخلافة؟

المولى هو الذي يجب أن نحبه، ليس معناه الخليفة أو الوصي. أين ثبت أن مَفْعَلُ جاء بمعنى أفعل كي يتضح أن المولى معناه أولى؟!

أليس في القرآن: ﴿... فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ...﴾ [الاحزاب: ٥]؟

ألم يأت في سورة التحريم: ﴿... فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ [التحريم: ٤]؟

هل (المولى) جاء بمعنى المتكفل والمراقب؟ وعلى هذا فالمؤمنون متكفلون بالنبي ﷺ؟
يا له من فهم! فلماذا لم يفهم صحابة رسول الله ﷺ الذين هم المخاطبون بهذه الكلمات في حديث الغدير بهذا المعنى الذي تدّعي الإمامية؟^(٣)

روى ابن عساكر عن حفيد علي عليه السلام حسن المثنى وهو يقول: «قيل: ألم يقل رسول الله من

(١) وقد أسهب الشيخ محمد باقر سجودي في بيان هذا الموضوع في كتابه (لماذا لم يذكر اسم علي في القرآن؟).

(٢) بحار الأنوار ٣٧/ ٢٢٥. هذا الحديث المسمى بحديث الغدير يستدل به الشيعة على إمامة علي عليه السلام وينبغي التنبيه أنه لا يصح منه من طرق أهل السنة إلا قوله (من كنت مولاة فعلي مولاة) أما الزيادات الأخرى فلا تصح، انظر السلسلة الصحيحة للألباني ٤/ ٣٣٠ - ٣٤٤.

(٣) بل إن الإمام علي عليه السلام لم يحتج بهذا الحديث في السقيفة! فلو كان نصاً صريحاً على إمامته لم يتردد في ذكره في ذلك الموضع.

كنت مولاه فهذا علي مولاه؟ فقال: بلى! ولكن والله لم يعن رسول الله بذلك الإمارة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به، فإنَّ رسول الله كان أفصح المسلمين، ولو كان الأمر كما قيل، لقال: رسول الله: يا أيها الناس هذا ولي أمركم والقائم عليكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا، والله لئن كان الله ورسوله اختاراً عليّاً لهذا الأمر وجعله القائم للمسلمين من بعده، ثم ترك عليّ أمر الله ورسوله لكان عليّ أول من ترك أمر الله ورسوله»^(١).

انظروا كيف يحكم حفيد عليّ عليه السلام، ثم يأتي أناس يحرفون رسائل علي وأولاده ولا يبالون بذلك، ليكون كلامهم وآراؤهم مقدمة على كلام علي وأولاده؟ وينسبوا الضلالة إلى أكثر المسلمين من صدر الإسلام حتى يومنا هذا، ألا يخافون من الحساب يوم القيامة؟

وقد يستدلون في بعض الأحيان بما جاء في صحيح البخاري ما نصه: «ابتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدي أبداً» ثم يقولون إن النبي ﷺ ترك الكتابة لأنَّ عمر بن الخطاب قال: «حسبنا كتاب الله»^(٢) وكان النبي ﷺ طبقاً لرأي الإمامية يريد أن يكتب شيئاً حول خلافة علي عليه السلام.

وللإجابة على ذلك نقول:

أولاً: كان النبي ﷺ أمياً وليس في استطاعته أن يكتب بنفسه، ولكن جاء في هذه الرواية «أن اكتب» وإن كان المقصود من الكتابة إملاؤها فيقول «أُملي عليكم».

ثانياً: طبقاً لهذه الرواية فقد أراد النبي ﷺ - معاذ الله - وقوع الضلالة في الأمة حيث قال: «أكتب لكم» ولم يكتب، والقرآن الكريم يقول: ﴿...الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ [المائدة: ٣].

ثالثاً: إن كان هذا الأمر من الله سبحانه فكيف يجوز أن يقال إنَّ النبي ﷺ ترك أمر الله لأجل مخالفة عمر بن الخطاب؟!

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ١٣/ ٦٩.

(٢) صحيح البخاري كتاب العلم، باب كتابة العلم برقم ١١٤.

رابعاً: وإن كان الحديث صحيحاً، ولم يكتب النبي ﷺ شيئاً ولم يعين نائباً، فلماذا فرقة الإمامية تخالف الأمة الإسلامية وتنسب الضلالة إلى الآخرين على أمرٍ لم يتم بعد؟!

خامساً: من أين لهم أن النبي ﷺ لو كتب هذه الرسالة فإنه سيختار اثني عشر إماماً من أهل بيته؟! هل عندهم علم الغيب؟ وكيف اطلعوا على ما في ضمير رسول الله ﷺ؟

سادساً: إن كانوا يعتمدون على صحيح البخاري فلماذا لا يقبلون هذا الحديث الذي يقول إن النبي ﷺ صعد جبل أحد مع أبي بكر وعمر وعثمان وأشار النبي ﷺ إلى الجبل وقال: «فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان»^(١).

ويقولون: عندنا روايات كثيرة في عليّ ﷺ يجب علينا أن نتبعها.

ونحن نقول: هناك روايات كثيرة أيضاً في أبي بكر وعمر توجب علينا اتباعهما، ويمكن الجمع بين هذه الروايات ولا خلاف بين بعضها البعض أبداً كما جاء عن الرسول ﷺ أنه قال: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»^(٢).

وكما قال ﷺ: «إني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر»^(٣) رواه الترمذي في صحيحه والآخرين بأسانيد مختلفة.

نحن لا ننكر فضل عليّ ﷺ وأهل البيت البتة، وكذا فضل عليّ على سائر الخلفاء^(٤)، ولكن مسألة اختياره من الله للخلافة أمرٌ لا يتوافق مع أحاديث عليّ ﷺ نفسه التي جاءت من طرق الشيعة الإمامية فضلاً عن الروايات التي رواها أهل السنة.

(١) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ (لو كنت متخذاً خليلاً) برقم ٣٤٩٦.

(٢) جامع الترمذي كتاب المناقب باب مناقب أبي بكر وعمر ﷺ عليها برقم ٣٦٦٢.

(٣) جامع الترمذي كتاب المناقب باب مناقب أبي بكر وعمر ﷺ عليها برقم ٣٦٦٣.

(٤) ما ذكره المؤلف من أن أهل السنة لا ينكرون فضل علي وسائر أهل البيت فهذا حق وكتبهم تشهد بذلك، وأما قوله في تفضيل علي ﷺ على سائر الخلفاء، فإطلاق غير صحيح بل أجمع أهل السنة أن أبا بكر ﷺ أفضل الصحابة ويأتي بعده عمر ﷺ واختلفوا في المفاضلة بين علي ﷺ وبين عثمان ﷺ فجماهير أهل السنة على تفضيل عثمان ﷺ وعلى هذا فعلي ﷺ رابع الصحابة في الفضل رضي الله عنهم أجمعين وهذا لا يقتضي القدر في أحد منهم.

مثلاً إضافةً على ما سبق يقول المسعودي الذي تعدّه الشيعة من أنفسهم^(١) في كتابه مروج الذهب: «دخل الناس على علي عليه السلام يسألونه، فقالوا يا أمير المؤمنين: رأيت إن فقدناك ولا نفقدك أنبايع الحسن؟ قال: لا آمركم ولا أنهاكم، وأنتم أبصر»^(٢).

ويقول أيضاً قال الناس لعلي عليه السلام: «ألا تعهد يا أمير المؤمنين؟ قال: لا؛ ولكني أتركهم كما تركهم رسول الله ﷺ»^(٣).

هذه آثار رواها الشيعة الإمامية عن علي عليه السلام في كتب تاريخهم وحديثهم، وقد نقل أهل السنة والشيعة والزيدية^(٤) عنه عليه السلام ما يشبه هذه الآثار في كتبهم، مثل ما رواه أحمد بن حنبل في "مسنده"^(٥) قريباً من تلك الآثار التي نقلها الإمامية وهي من حجتنا عليهم عند الله.

مثل ما جاء في "مستدرك الوسائل"، و"وسائل الشيعة"، و"بحار الأنوار" للمجلسي أن علياً عليه السلام قال: «والواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمين بعد ما يموت إمامهم أو يقتل، ضالاً كان أو مهتدياً مظلوماً، حلال الدم أو حرام الدم، أن لا يعملوا عملاً ولا يحدثوا حدثاً، ولا يقدموا يداً أو رجلاً، ولا يبدؤوا بشيء قبل أن يختاروا لأنفسهم - (في بحار الأنوار لجميع أمرهم) - إماماً عفيفاً عالماً عارفاً بالقضاء والسنة»^(٦).

فهنا كما ترى أن علياً عليه السلام يعدّ الإمامة أمراً اختيارياً لا انتصابياً ومعيناً من الله سبحانه. وبناءً على قول الإمامية: كيف يفهم سبعة وسبعون ألف شخص من حديث الغدير أن علياً

(١) انظر الذريعة لآغا بزرك الطهراني ١/ ١١٠.

(٢) مروج الذهب ٢/ ٤١٢.

(٣) مروج الذهب ٢/ ٤١٢.

(٤) الزيدية إحدى فرق الشيعة نسبتها ترجع إلى مؤسسها زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين الذي صاغ نظرية شيعية في السياسة والحكم وقد جاهد من أجلها وقتل في سبيلها، وكان يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً، ولم يقل أحد منهم بتكفير أحد من الصحابة ومن مذهبهم جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ١/ ١٣٠ رقم الحديث ١٠٧٨.

(٦) كتاب سليم بن قيس ص ٢٩١، بحار الأنوار ٣٣/ ١٤٣-١٤٤ وسائل الشيعة ٤/ ١٩١ مستدرك الوسائل ٧/ ١٢٣-١٢٤.

اختاره الله تعالى لأمر الخلافة ثم سكتوا كلهم وقبلوا خلافة أبي بكر وذلك بعد مضي أقل من شهرين؟^(١)

هل المهاجرون الأولون الذين وعدهم الله بالجنة في سورة التوبة كفروا كلهم؟!

لو فرضنا أن المهاجرين - معاذ الله - ارتدّوا واتخذوا أمر الله ورسوله وراء ظهورهم، فلماذا سكت الأنصار الذين لم ينتفعوا من هذا، ولم يختار الخليفة من بينهم؟!

ولماذا لم يطيعوا أمر الله ورسوله ولم يبايعوا علياً؟ ألم يكونوا هم الذين نصروا الرسول ﷺ بعد أن همّ قومه بقتله؟ أليسوا هم الذين ضحّوا بأنفسهم في سبيل الله؟ ألم يقل الله سبحانه فيهم: ﴿... وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [٧٤: الأنفال].

هل كل أولئك المؤمنون الحقيقيون تركوا أمر الله ورسوله في خلافة عليّ عليه السلام بغير دليل وبدون نفع الدنيا والآخرة؟^(٢)

هل يمكن أن نغض الطرف عن هذه الدلائل الواضحة كلها؟!!

لقد وضح المقال إن استفادوا ولكن أين من ترك العناد؟!!

الادعاء الثاني للشيعية الإمامية أن أهل بيت النبي ﷺ كانوا معصومين من أي سهو أو خطأ أو نسيان فلا خطأ في آرائهم أبداً، ومن هنا يجب على المسلمين أن يتبعوهم في أمور فقهية وتفسيرية ولا يجوز التمسك إلا بالأحاديث التي وردت في كتبهم^(٣).

(١) وذلك أن بين حادثة الغدير وحادثة السقيفة - التي تم تداول موضوع الخلافة فيها - قرابة الشهرين فالعهد بحديث الغدير وحادثته قريب جداً لكن مع ذلك لم يحتج بحديث الغدير لا علي عليه السلام ولا غيره من الصحابة على أحقيته بالخلافة كون حديث الغدير نصّ على إمامته.

(٢) هذا ملحظ مهم من المؤلف وهو ما الباعث وراء ترك أمر رسول الله ﷺ في خلافة علي عليه السلام وماهي المحصلة من ذلك؟! وما هي الفائدة الدنيوية التي فازوا بها جراء ذلك؟! وما هو الترهيب الذي نالهم حتى يحجموا عن أمر رسول الله ﷺ؟!

(٣) ينسب الشيعة العصمة بهذا المعنى للأئمة مع أن القمي ذكر في كتابه "من لا يحضره الفقيه" وهو من الكتب الأربعة المعتبرة عند الشيعة أن نفي السهو عن النبي ﷺ مذهب للغلاة، انظر ٢٣٤ / ١، فكيف يكون بعد ذلك من ضروريات المذهب...؟! انظر تنقيح المقال للمامقاني ٢٤٠ / ٣.

وهذا الادعاء خطأ من وجوه:

أولاً: أجمع الإمامية والآخرين على أنَّ النبي ﷺ أرفع أهل بيته كلهم شرفاً ومنزلةً ومع ذلك لم يكن مصوناً من الخطأ كما ثبت هذا بالقرآن حيث قال الله تعالى مخاطباً النبي ﷺ: ﴿... لَمْ أَذْنَبْ لَهُمْ...﴾ [التوبة: ٤٣]؟ ويقول في آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ...﴾ [التحریم: ١].

هذه الآيات تُوضح أنَّ النبي أخطأ أحياناً وأذن للبعض أن يتخلفوا عن الجهاد، أو أوقع نفسه في المشقة، وحرم نفسه من الحلال لا بتغاء مرضات أزواجه.

ولكن هناك فرق بين النبي ﷺ والآخرين في أنَّ الله تعالى كان يطلع نبيه ﷺ على خطئه ويأمره بالإصلاح ولكن ليس هذا الارتباط إلا بين الله والنبي ﷺ، من هنا كان الآخرون يخطئون ولم يطلعهم الله على خطأهم لأنهم ليس لهم مقام النبوة، هذه القاعدة تشمل أهل بيت النبي ﷺ أيضاً ونقل عنهم أخطاء في التاريخ سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

ثانياً: جاء في القرآن آيات صريحة تنسب النسيان إلى رسول الله ﷺ منها: ﴿... وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ...﴾ [الكهف: ٢٤].

اتَّفَقَ المفسرون على أنَّ مشركي مكة سألوا الرسول ﷺ عن أصحاب الكهف والنبي ﷺ وعدهم أن يأخذ الجواب لهم من الوحي غداً ونسي أن يقول: (إن شاء الله) فقطع الله الوحي مدةً تنبيهاً للنبي ﷺ وتربية له ثم نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَأْنِيْ فَعِلْتُ ذَلِكَ غَدًا﴾ [٢٣] إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ...﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].^(١)

فكيف يكون أهل بيت النبي ﷺ مصونين من كل أنواع النسيان والخطأ؟ ألم يقل الله سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿... وَإِنَّمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٦٨] [الأنعام: ٦٨].

ثالثاً: التاريخ يبين أنَّ أهل بيت النبي ﷺ أخطأوا في مواضع متعددة، في الأحكام وغيرها.

(١) انظر زبدة التفاسير للملا فتح الله الكاشاني ٩٩/٤-١٠٠، التفسير الأصفي للفيض الكاشاني ٧١٣/٢، تفسير الطبري ٢٨٤/١٥.

مثلاً جاء في نهج البلاغة أَنَّ عَلِيّاً عليه السلام كتب رسالةً إلى واليه في شیراز يقول فيها: «أما بعد، فإنَّ صلاح أهلك غرني منك، وظننت أنك تتبع هديه وتسلك سبيله»^(١).

ومنذر بن جارود هو الذي أخطأ فيه عليٌّ عليه السلام حيث أرسله والياً على شیراز فتسلط على بيت المال وسرق منه أربعة آلاف درهم ثم هرب إلى معاوية كما ذكر ذلك شارحوا نهج البلاغة.^(٢)

فكما ترى هنا حدث الخطأ، ولكنَّ الله لم ينزل وحياً على عليٍّ عليه السلام ليخبره عن خيانة منذر بن جارود ولم يطلع على أحواله وسرقة أموال الناس إلاَّ بعد فراره.

وهناك شاهدٌ آخر وهو أَنَّ الشيخ الطوسي يقول في كتابه تهذيب الأحكام: «صلى علي عليه السلام بالناس على غير طهر وكانت الظهر ثم دخل، فخرج مناديه إِنَّ أمير المؤمنين صلى على غير طهر فأعيدوا، فليبلغ الشاهد الغائب»^(٣).

ومن هذا يتضح أَنَّ الخطأ والنسيان قد حدث من أهل البيت عليهم السلام.

كما روى محمد بن إدريس الحلي^(٤) - وهو من أعلام الشيعة الإمامية - في فصلٍ في كتابه السرائر قوله: «ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام السهو فقال: وهل يفلت من ذلك أحد؟ ربما أقعدت الخادم خلفي حتى يحفظ عليَّ صلواتي»^(٥).

وجاء في كتب علماء الشيعة الإمامية وتواريخهم أَنَّ الإمام الحسن عليه السلام كان يخالف أباه الفاضل في بعض الأمور السياسية والدينية، فإذا قلنا كان الحق مع الإمام الحسن عليه السلام، فمعناه أَنَّ أباه قد أخطأ، وإذا قلنا الحق مع الأب فالابن هو المخطئ.

(١) نهج البلاغة، ص: ٤٦١.

(٢) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨ / ٥٥ - ٥٧.

(٣) تهذيب الأحكام للطوسي ٣ / ٤٠.

(٤) محمد بن إدريس الحلي، من كبار فقهاء الإمامية في القرن السادس الهجري وصاحب كتاب السرائر الذي عُرِفَ فيه بآرائه الجديدة الجريئة في الفقه وشدة انتقاده لمن سبقه، توفي سنة ٥٩٨ هـ، انظر ترجمته في مقدمة كتابه السرائر بتحقيق محمد مهدي الخرسان.

(٥) السرائر للحلي ص ٤٨٤، وانظر وسائل الشيعة للحر العاملي ٨ / ٢٥٣.

وكتب الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢هـ في كتابه أخبار الطوال بمناسبة ذهاب عليّ عليه السلام إلى حرب الجمل فقال: «فدنا منه الحسن فقال: يا أبت أشرت عليك حين قتل عثمان وراح الناس إليك وغدوا وسألوك أن تقوم بهذا الأمر ألا تقبله حتى تأتيك طاعة جميع الناس في الآفاق، وأشرت عليك حين بلغك خروج الزبير وطلحة بعائشة إلى البصرة أن ترجع إلى المدينة فتقيم في بيتك، وأشرت عليك حين حاصر عثمان أن تخرج من المدينة فإن قُتِلَ وأنت غائب فلم تقبل رأيي في شيء من ذلك».

هل يمكن أن يقال إنّ الإمام الحسن عليه السلام كان معصوماً من كل خطأ ومع ذلك لم يقبل عليّ عليه السلام رأيه؟ بالتأكيد لا.

لذا يردُّ عليّ عليه ويقول له: «فقال عليّ عليه السلام: أما انتظاري طاعة جميع الناس من جميع الآفاق، فإن البيعة لا تكون إلّا لمن حضر الحرمين من المهاجرين والأنصار، فإذا رضوا وسلّموا وجب على جميع الناس الرضا والتسليم وأما رجوعي إلى بيتي والجلوس فيه فإنّ رجوعي لو رجعت كان غدراً بالأمة ولم آمن أن تقع الفرقة وتتصدّع عصا هذه الأمة، وأما خروجي حين حاصر عثمان فكيف أمني ذلك؟ وقد كان الناس أحاطوا بعثمان فاكفف يا بني عما أنا أعلم به منك»^(١).

وقد جاء نظير هذه الاعتراضات والأسئلة والأجوبة في مصادر الشيعة الإمامية صراحة كما نقرأ في كتاب المجالس للشيخ المفيد، وفي كتاب بحار الأنوار للمجلسي أنّ الإمام الحسن عليه السلام قال لأمر المؤمنين عليّ عليه السلام: «أخرج من المدينة واعتزل فإنّ الناس لا بد لهم منك وإنهم ليأتونك ولو كنت بصنعاً، أخاف أن يقتل هذا الرجل وأنت حاضره».

قال عليّ في جوابه: «يا بني أخرج من دار هجرتي؟ وما أظن أحداً يجتر عليّ هذا القول؟!»^(٢) ورأينا أن عليّاً عليه السلام لم يصب في ظنه واتهموه مع الأسف بأنّه شارك في قتل عثمان. كما نقرأ شبيه تلك الآثار في الأمالي للشيخ الطوسي وهو من أساطين الإمامية^(٣). كل هذا يدلّ على أنّ

(١) أخبار الطوال للدينوري، ص: ١٤٦.

(٢) بحار الأنوار ٣١/٤٨٧، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لحبيب الله الهاشمي ٣٨-٣٩.

(٣) الأمالي للطوسي، ص: ٧١٤.

الخطأ حدث بالفعل لأهل بيت النبي ﷺ.

دليل آخر يثبت ذلك وهي الأحاديث المتناقضة التي نُقلت عن الأئمة في الكتب الفقهية الشيعة الإمامية بحيث لم يمكن لهم حملها على التقية لأنّه ليس هناك شيء يوجب الخوف والتقية كهذين الحديتين الذين روي أحدهما عن جعفر الصادق والآخر عن ابنه موسى عليهم السلام. جاء في باب الطهارة من كتاب وسائل الشيعة للشيخ الحرّ العاملي أنّ محمد بن يعقوب الكلبي روى عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن أبي عمير عن حفص بن البختري عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله الصادق أنّه قال في زيارة القبور: «إنهم يأمنون بكم فإذا غبتم عنهم استوحشوا»^(١).

وفي رواية أخرى روى محمد بن علي بن حسين (ابن بابويه) بإسناده إلى صفوان بن يحيى أنّه قال: «قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر: بلغني أنّ المؤمن إذا أتاه الزائر أنس به فإذا انصرف عنه استوحش فقال لا يستوحش»^(٢).

أمثال تلك الروايات تُثبت لنا أنّ للأئمة آراء مختلفة، وأحياناً متضادة لا يمكن أن تكون كلّها صحيحة.

وقصة اختلاف الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام على قضية الصلح بين الحسن ومعاوية مشهورة بين الشيعة والسنة وقد جاءت في كتب الفريقين^(٣) وهي تدلّ على أنّ أحد الفاضلين قد أخطأ.

وهنا استدلل الشيعة الإمامية بآية التطهير^(٤) الشريفة: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ٣٣﴾ [الأحزاب: ٣٣].

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ٣/ ٢٢٢، الكافي للكليني ٣/ ٢٢٨.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي ٣/ ٢٢٢.

(٣) حياة (زندكي) إمام حسين، تأليف محمد علي خليلي.

(٤) يطلق علماء الشيعة على هذا الجزء من آية رقم (٣٣) من سورة الأحزاب بأنها آية التطهير وفي الحقيقة هي جزء من آية وردت في سياق كان المخاطب به أزواج النبي ﷺ، مما يدل دخولهم في الآية قطعاً.

فتدعي الشيعة أنّ هذه الآية تدل على عصمة أهل البيت عن كل أنواع الخطأ فنقول:

أولاً: إنّ رسول الله ﷺ لم يكن بريئاً عن الخطأ بنص القرآن، فكيف بأهل بيته؟!

ثانياً: الآية المذكورة تدل على رفع الرجس عن أهل البيت، والخطأ ليس من الرجس، إنّما الرجس سببه المعصية.

ثالثاً: هذه الآية تدل على الإرادة التشريعية في رفع الرجس عن أهل البيت، لا الإرادة الكونية التي تلزم الجبر.

وقد وردت نصوص كهذه في الطهارة لعموم المسلمين ولا تختص بأهل البيت كما قال تعالى: ﴿... وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ...﴾ [المائدة: ٦]. وهذا لا يدل على أنّ كل المؤمنين بريئون عن الخطأ والنسيان والمعصية.

والخلاصة أنّ أهل البيت كسائر الناس ليسوا بمعصومين عن السهو والخطأ فأحاديث رسول الله ﷺ حجة علينا لأنه ﷺ كان في حفظ الله ورعايته كما قال سبحانه: ﴿... فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا...﴾ [الطور: ٤٧].

أما أهل البيت فليسوا كذلك وهكذا الأنبياء إذا نسوا أو أخطأوا ذكرهم الله لئتم حجته على الناس عن طريقهم كما قال سبحانه: ﴿... لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ...﴾ [النساء: ١٦٥].

وقد ادعى الشيعة الإمامية أنّه لا يجوز أن نأخذ الفقه الإسلامي إلا عن أهل البيت لأن النبي ﷺ قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً»^(١).

الجواب: هذا الحديث فرض صحته - لأنه جاء في بعض الروايات «كتاب الله وسنتي»^(٢) - لا يفيد وجوب أخذ الفقهاء الفقه الإسلامي عن طريق أهل البيت فقط، حيث قال الله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿... فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا

(١) جامع الترمذي كتاب المناقب باب مناقب أهل البيت رقم ٣٧٨٦.

(٢) سنن الدار قطني ٤/٢٤٥، سنن البيهقي ١٠/١١٤، الكافي للكليني ٢/٦٠٦، كمال الدين وتمام النعمة للصدوق ص ٢٣٥.

قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ [التوبة: ١٢٢]. فهذه الآية تدل صراحة على أنَّ انتقال الفقه الإسلامي إلى الناس لم يكن منحصرًا عن طريق أهل البيت، بل كان يأتي من كل طائفة ينفرون إلى رسول الله ﷺ ويتفقون عنده ثم يرجعون إلى قومهم ويعلمونهم الأحكام، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

كما جاء في التاريخ أنَّ رسول الله ﷺ كان يُرسل أصحابه إلى الأقاليم لتعليمهم أحكام الله كإرسال معاذ بن جبل إلى اليمن، وحادثة بئر معونة^(١)، والرجيع^(٢) في التاريخ مشهورة، حيث أرسل رسول الله ﷺ عدداً من أصحابه إلى بعض الأقاليم ليعلّموهم الكتاب والأحكام، ولكن قتلهم الأعراب في الطريق.

والخلاصة أنَّ تبليغ دين الله لم يكن محدوداً ومنحصرًا في أهل البيت كي يلزم منه وجوب أخذ الفقه منهم فقط، بل كان كبار الصحابة أيضاً مبلغين لهذا الدين، وقد كان النبي ﷺ يقول بعد الانتهاء من بعض خطبه: «فليبلغ الشاهد الغائب»^(٣) ويقول: «نَصَرَ الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وأداها إلى من لم يسمعها، فربُّ حامل فقه ليس بفقيه، وربُّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(٤).

ولأجل هذا فإننا إذا أردنا معرفة الفقه الإسلامي فإنه يجب علينا أن نرجع إلى آثار الصحابة التي جاءت في كتب الصحاح لأهل السنة ونسبها للصحابة فقهاء، كما يلزمنا أن نرجع إلى أحاديث أهل البيت التي جاءت في كتب الإمامية والزيدية ونبين الصحيح من السقيم وندرس فقه الإسلام من جميع الأطراف.

وبهذا يستطيع فقهاء أهل السنة والزيدية أن يُخرجوا فقه الإمامية من مشكلة رئيسة وهي أنَّ فقهاء الإمامية خاصّة المعاصرين يعدّون خبرَ الآحاد حجةً، ويخصّصون القرآن الكريم به، وبناءً على قولهم لا يكون خبر الواحد حجةً إلّا عند انسداد باب العلم، أي إذا لم يوجد طريقٌ إلى العلم

(١) انظر مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١/١٦٨-١٦٩، بحار الأنوار ٢٠/٢١.

(٢) انظر مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١/١٦٨، بحار الأنوار ٢٠/١٤٧.

(٣) انظر: بحار الأنوار ٧٣/٣٤٨.

(٤) انظر: الكافي للكليني ١/٤٠٣، الأمالي للصدوق ص ٤٣٢.

بالأحكام يميلون إلى الظن ضرورةً لأنَّ خبر الواحد ظنيٌّ بدليل أنه لا يمكننا أن نوقن أنَّ الراوي لم يكذب، وبفرض حصول الاطمئنان على صدقه، لا نوقن أنَّه لم ينس، أو لم يخطئ، خاصَّةً أنَّ الأئمة أجازوا أن تُروى الأحاديث بالمعنى رواية حديثٍ من أفراد متعددة ومع القرون المتعاقبة يقوي احتمال التغير في مفاده، ولكن إذا راجعنا فقه الزيدية وأهل السنَّة ورأينا حديثاً رُوي عن طرق متعددة وبأسانيد مختلفة فقد نطمئنُ إلى صحته، فخير الواحد لا يكون حجةً إلَّا إذا كان باب العلم مسدوداً.

والحمد لله فهذا الباب ليس مسدوداً، ولكن فقهاء الإمامية لا يريدون الدخولَ منه ويكتفون بأخبار الآحاد الضعيفة والظنية، وبالتالي يصلون إلى أحكام عجبية غريبة، خاصة أنَّ الأئمة التزموا بالتقية خوفاً من خلفاء بني أمية وبني العباس ولم يظهروا آراءهم صراحةً.

ثم لا توجد كتب فقهية للشيعة يُعتمد عليها، لأنَّ تدوين كتبهم كانت بعد عصر الأئمة وُجمعت فيها الأخبار الصحيحة والسقيمة خلافاً لمذهب الزيدية لأنَّ بين أيديهم كتاب مجموع الفقه، أو المسند للإمام زيد كتبه تلميذه أبو خالد الواسطي على إملاء أستاذه، وهكذا فهناك كتب لفقهاء أهل السنة كالموطأ للإمام مالك، والأئم للإمام الشافعي، والمسند للإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله جميعاً.

ولكن لا يوجد كتابٌ فقهِيٌّ لأئمة الشيعة^(١)، حيث جمع الآخرون رواياتهم المتضادة والمختلفة في قرونٍ متأخرة كالكتب الأربعة: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه. ومن هناك يلزم العلماء المنصفين المقارنة بين آثار الإمامية وروايات المذاهب الأخرى والمشاركة في هذا الأمر مشاركةً علمية، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾ [الإسراء: ٣٦].

والسلام عليكم على من اتبع الهدى واجتنب الهوى.

(١) انظر كتاب أسطورة المذهب الجعفري للدكتور طه الدليمي فقد أفاض في هذه المسألة وأبانها بياناً شافياً.

